

الانبيادة

لفرجيل

بقلم : الدكتور إبراهيم بكر

ولد في الخامس عشر من شهر أكتوبر عام ٧٠ ق.م، أثناء قنصلية «جنايوس پومپيوس ماجنوس Gnaeus Pompeius Magnus» ، «وماركوس ليكينيوس كراسوس Marcus Licinius Crassus» وذلك في قرية «أنديس - Andes» ، التي تبعد ما يقرب من ثلاثة أميال رومانية عن «مانتوا Mantua» إحدى مقاطعات «جاليا كيسالينا - Gallia Cissalpina» ، أي بلاد الغال الواقعة جنوب الألب المتاخمة لشمال إيطاليا . وقد أصبح يوم ميلاد فرجيل فيما بعد عيداً يحتفل به الشعراء والأدباء كل عام (١) .

لم يكن «فرجيل» اذن ، بحكم مسقط رأسه ، مواطناً رومانياً ، فلم تتمتع المقاطعة التي تنتمي إليها قرية «أنديس» بالحقوق الرومانية الا بعد أن بلغ «فرجيل» عامه الحادى والعشرين (٢) . ومن ثم

يحتل «فرجيل» في الأدب اللاتينى نفس المكانة التي يحتلها «هومر» في الأدب اليونانى ، كما تحتل ملحمة «الانبيادة» نفس المكانة التي تحتلها «اللياذة والأوديسا» ، وفرجيل هو أعظم شعراء عصر «أوغسطس» ، وخير شاعر يمثل هذا العصر ويعبر عن أحلامه وأمانيه ، كما أنه أكثر الشعراء اللاتين تأثيراً على الاجيال التالية .

اننا لا نعرف عن حياة «فرجيل» الا القليل . ومن هذا القليل ، الذي اتفق عليه معظم المؤرخين والرواة (٣) أنه يدعى پوبليوس فيرجيليوس مارو - Publius Vergilius Maro

(١) ان المصادر الاولى لحياة فرجيل المستقاة من الرواة القدماء قد جمعت في No. 72 of Lietzman's Kleine Texte (Bonn, Weber, 1911) p. 237, n. 6.

وهي تعتمد أساساً على دوناتوس ، فوكاس ،

سيرفيوس ، بروبوس وغيرهم . قارن

Rose, A Handbook of Latin Literature p. 237, n. 6.

كما يمكن الرجوع إليها أيضاً في

J. Brummer, Vit. Verg, 1912 :

Martial, XII, 67

(٢) قارن

(٣) قارن :

A.S. Wilkins, Roman Literature, p. 70

فقد قال البعض انه من أصل غالى أو من أصل أترسكى •

أما عن عائلته فقد حاول بعض النقاد المحدثين (١) أن يثبت أنها كانت تحتل مركزا محليا هاما ، اذ يبدو أن أمه « بولاماجيا - Polla Magia » (٢)

كانت تنتمى الى أسرة منتشرة في ايطاليا ، وتتمتع بمركز مالى لا بأس به ، وقد ذهب البعض أن الاسم «ماجيا - Magia» المشتق من كلمة «Magus» بمعنى ساحر ، كان من العوامل التي ساعدت على خلق الاعتقاد ، الذي ساد في القرون الوسطى ، بأن «فيرجيل» كانت له قدرة عجيبة على السحر (٣) . وأما أبوه فقد كان ينتمى الى طبقة الفلاحين (٤) ، ويبدو أنه كان يعمل فى بادئ الأمر أجيرا عند والد زوجته المدعو « ماجيوس Magus » ؛ وقد استطاع بجده ونشاطه و إخلاصه فى العمل أن يكسب ثقة وعطف مخدمه الذى زوجه ابنته ، وساعده على تكوين حياته الخاصة ، اذ نالنا سمع به بذلك أنه قد أصبح لوالد فيرجيل أرضه الخاصة ، ولا ندرى على وجه التحديد كيف آلت اليه ملكية هذه الأرض ، هل هى ثمرة مجهوده وكفاحه ، أم أنها آلت اليه كمهر لزوجته ، أم أنه ورثها

(١) انظر :

M.L. Gordon in Journ. Rom. Stud., 1934, pp. 1—12 ; Cited in Rose, op. cit., p. 237, n. 7.

(٢) انظر :

Probus: 'Natus... matre Magia Polla, cited in Brummer, op. cit. P. 73 ; Focas : 'Mater Polla fuit, Magii non infima probes', cited in Brummer, op. cit., p. 50.

(٣) انظر :

J.W. Duff, Literary History of Rome, to the close of the Golden Age, p. 319.

(٤) فارن :

Probus, 'Patre Vergilio rustico', in Brummer, op. cit. p. 73; cf. Macr. Satur. V. 2. 1.

بعد وفاة والد هذه الزوجة • على كل لقد شب فرجيل فوجد أن أباه يمتلك أرضا ، وقد كانت هذه الأرض سببا فى تدعيم علاقة فيرجيل بكثير من رجالات العصر •

ان شخصية كشخصية « فيرجيل » ، حظيت بمثل ما حظى به من مجد وشهرة ، لم تكن لتترك دون أن ينسج حول ميلادها الكثير من الروايات والأساطير • تحكى احدى هذه الروايات أن والده « فيرجيل » رأت فى منامها ، وهو حامل ، أنها تلد غصنا من الغار ، ما كاد يلمس الأرض حتى انغرس فيها ونما وترعرع بسرعة عجيبة ، حتى تحول الى شجرة يانعة تحمل مختلف الثمار والأزهار (٥) . وتكمل هذه الرواية رواية أخرى تقول بأن والده « فيرجيل » ، بينما كانت تسير مع زوجها فى اليوم التالى لرؤية الحلم ، جاءها المخاض فجأة ، فانتحت جانبا من الطريق ووضعت وليدها فى آخدود (٦) وتروى رواية ثالثة بأنه طبقا للطقوس المتبعة ، قد زرع فى مكان ميلاد « فيرجيل » غصنا من شجر الحور ، وقد نما هذا الغصن بصورة عجيبة ، حتى أصبح ارتفاعه يربو على أشجار الحور التى زرعت منذ أمد بعيد ، وقد سميت هذه الشجرة « شجرة فيرجيل » وكانت أنساء الحوامل يبجلنها ويتبركن بها ويقرأون أمامها بعض الأدعية والصلوات (٧) .

وهناك رواية أخرى تقول ان « فيرجيل » ، عندما أبصرت عيناه نور الدنيا ، لم يصرخ كما يصرخ الأطفال عادة ساعة ميلادهم ، بل كانت تتجلى على وجه نظرة وضاعة لطيفة توحى بالأمل المعقود

(٥) انظر :

Donatus, in Brummer, op. cit. p. 1

(٦) نفس المرجع ص ٢ .

(٧) نفس المرجع السابق ص ٢ .

على مصير هذا الطفل (١) . وسواء صحت هذه الروايات أم كانت من نسج الخيال ، فهي تدل دلالة واضحة على مقدار ما كان يحظى به الشاعر من اعزاز وتقدير .

لقد نشأ « فيرجيل » وتربى في بيئة زراعية بين المراعى والأحراش (٢) . وقد ظهر أثر هذا بوضوح في مواضع كثيرة من أعماله ، وعلى الأخص الرعويات والزراعات . وقد وافقت العشرون سنة الأولى من حياة « فيرجيل » تلك الفترة الخطيرة من تاريخ روما ، أعنى فترة الحروب الأهلية الأولى التي اندلع لهيها بين حزبي « ماريوس » و « سولا » ، وكذلك النضال الرهيب بين « قيصر » و « بومبي » . وعندما كان « فيرجيل » صبيًا في الحادية عشرة من عمره جاء « قيصر » ليحكم الولاية التي تضم « جاليا كيساب لينا » ، حيث تعود « قيصر » أن يمضى فترة الشتاء وقد انضمت هذه الولاية إلى « قيصر » ، أثناء نضاله مع « بومبي » : ومن المؤكد أن « فيرجيل » قد وقع تحت تأثير سحر تلك الأسرة العظيمة ، أسرة يوليوس قيصر ، التي أشاد فيرجيل بأمجادها في أخلاص ملحمة كتب باللاتينية ، أعنى « الانبادة » (٣) ويبدو أن والد « فيرجيل » لم يدخر وسعًا في سبيل تعليم ولده ، كأحسن ما يتعلم أبناء طبقة النبلاء . فبعد أن أتم « فيرجيل » مرحلة التعليم الأولى في قريته ، وكان قد بلغ الثانية عشرة من عمره ، اخذه أبوه إلى « كريمونا » (Cremona)

ليتلقى ما يعادل مرحلة التعليم الثانوى عند مدرس الأدب « grammaticus » ، حيث تمكن من دراسة الأدب والشعر اللاتينى دراسة مستفيضة ابتداء من « انيوس » إلى « كاتولوس » ؛ وقد مكث في « كريمونا » حتى بلغ السادسة عشرة من عمره ، وارتدى زى الرجال « toga virilis » ثم رحل إلى « ميلان » ، عاصمة الولاية في ذلك الوقت ، طلبًا في المزيد من العلم ، حيث تعلم اليونانية على يد من يدعى « بارثينيوس البيثينى » (Parthenius of Bithynia) وقد ساعده ذلك على قراءة روائع الأدب الاغريقى في لغتها الأصلية ، وبخاصة « هومر » ، « وهيسود » ، و « نيوكريتوس » ، و « أبولونيوس الرودى » ، الذين كان لهم أكبر الأثر على شعره . ويبدو أن « فيرجيل » لم يجد في « ميلان » ما يشبع نهمه في تلقى العلم ، لذلك فانه لا يمكث بها الا فترة قصيرة لا تزيد عن السنتين ، ارتحل بعدها إلى روما ، التي كانت تعج في ذلك الوقت بالأستاذة من كل علم وفن ، لينهل من علمهم وأدبهم .

كان على أى فتى طموح أن يختار بين احدى المهنتين الأساسيتين في ذلك الوقت العسكرية أو المدنية . وقد اختار « فيرجيل » ، لرقته وضعف صحته ، المهنة الثانية . ومن ثم فقد كرس جهده في بادئ الأمر للتدريب على الخطابة ، ليصل إلى ما وصل اليه « شيشرون » من بلاغة وفصاحة رفعته إلى قمة المجذ والشهرة . وعلى الرغم من أن « فيرجيل » قد تلقى تعليمه وتدريبه على يد واحد من أفضل أساتذة العصر ، أعنى « ابيديوس - Elpidius » ، حيث كان يرافق « فيرجيل »

(١) نفس المرجع السابق ص ٢ .

(٢) قارن :

Macr. Satur. V. 2. 1. ... 'rusticis parentibus nato inter silvas et frutices educto'

(٣) قارن :

Wikins, op. cit. pp. 78-79.

في الدراسة « قيصر أوغسطس » نفسه ^(١) ، إلا أنه لم يحرز أى تقدم ملحوظ في هذا الميدان ، فلم يترافع أمام القضاء الا مرة واحدة لم تكرر . ويبدو أن حياة الطيبي وخجله ورقته كانت عقبة كأداء تسد عليه هذا السبيل . وعلى كل فاننا نجد آثار هذا التدريب على الخطابه في خطبه التي جاءت في « الأنبياء » ، كما نجد أيضا ، وعلى الأخص في الكتاب الرابع من الأنبياء » ، آثار واضحة لتلك المحسنات البلاغية ، التي تركت أثرا عميقا على الادب في القرن التالي . ومن ثم فقد ترك « فيرجيل » هذا الميدان عن طيب خاطر ، واتجه لدراسة الفلسفة ؛ وكان أستاذه الأول في هذا الاتجاه الفيلسوف الأبيقورى المعروف « سيرو - Siro » . ^(٢)

ويبدو أن « فيرجيل » قد درس أيضا الطب والعلوم الرياضية بما في ذلك الفلك ، فان سعة اطلاعه تبدو جلية واضحة خلال أعماله ، حتى لقد استحق بجدارة لقب « العليم - doctus » . ذلك اللقب الذى أطلقه عليه كل شعراء عصره ^(٣) . وفي الجزء الثانى من « الزراعات » فقرة (٤٧٥ - ٤٩٢) يتجلى فيها إعجاب « فيرجيل » الشديد بدراسة العلم والفلسفة ، فهو يقول في ختام هذه الفقرة : (٤٩٠ - ٤٩٢)

(١) أنظر :
Probos, II 6-7: 'Ut primum se contum
Romae, studit apud Epidium oratorem
cum Caesare Augusto.' Cited in Brum-
mer, op. cit. p. 67.

(٢) قارن :
Catalept., 5, if genuine of Vergil, (nos ad
beatas vela mittimus portus/, magni pe-
pentes docta dicta sironis/vitam ab omni
vindicabimus cura) cited in app. Verg.
of O. Ribbech, 2nd. ed. 1895.

(٣) أنظر :
T.E. Page, Aen. VI intr. p. V. و قارن
Catalept, 35.

« سعيد من استطاع أن يعرف علة طبيعة الأشياء ، وطرح تحت قدميه كل المخاوف والقدر المحتوم وضجيج أخرون الشبره » .

ويعد أن أتى « فيرجيل » تعليمه ، عاد الى مزرعة أبيه . وقد مكنته طبيعته ، التي يغلب عليها الخجل والحياء ، أن يعتزل الناس ويعكف على الاطلاع ومحاولة فرض الشعر . ومن المحتمل أن تكون بعض القصائد القصيرة ، التي ينسبها البعض الى « فيرجيل » مثل Culex, Dirale, Moretum . ثمار تلك الفترة المبكرة من حياة الشاعر الأدبية .

وعلى أية حال ، فان أول معلومات أكيدة تصلنا عن شعر « فيرجيل » يرجع تاريخها الى حوالى عام ٤٢ ق م ، بعد هزيمة قتله « قيصر » في معركة « فيلبى » وانتقال العالم الرومانى الى يد الحكومة الثلاثية المؤلفة من « أوكتافيوس » ، « انطونيوس » ، « لبيدوس » . لقد وعد المنتصرون جنودهم ^(٤) بأرض كثير من المدن الايطالية ، من بينها بلدة « كريمونا » والحدود المجاورة لها بما في ذلك بلدة « ماتتوا » ^(٥) ومن الطبيعى أن تقع مزرعة والد « فيرجيل » تحت طائلة هذه المصادرات . ولكن الشاعر الشاب « فيرجيل » ، كان قد حظى برضاء « جايوس أسينيوس بوليوس » الذى كان يحكم ولاية « جاليا كيسا لينا » عام

(٤) قارن الدعويات ١ ، ٧١ :
«Inpius haec tam culta novalia miles habebit?

وأنظر أيضا الرعوية ٢ ، ٦ .

(٥) أنظر الرعوية ٩ ، ٢٧ - ٢٨ :
Vare, Tuum nomen, superet modo Mantua
nobis, Mantua vae miserae nimum
Vicina Cremonae.

الزراعات^(٥)، التي استغرقت ما يقرب من سبع سنوات^(٦) (من ٣٧ - ٣٠ ق.م.). وقد أصبح واحد ممن يتمتعون بعطف ورعاية وصداقة امبراطور المستقبل؛ كما أن الرعويات، التي كتبها في ثلاث سنوات تبدأ من حوالي ٤٢ ق.م. قد أكسبته بعض الشهرة، ولفتت إليه نظر «مايكناس» *Maecenas*، الراعي الأول للفنون والآداب في ذلك الوقت ووزير «أوغسطس»؛ وكان يجتمع في قصره على تل «اسكويليني» جماعة من الأدباء الممتازين. وقد أصبح «فيرجيل» أحد هذه الجماعة، بعد أن قدمه «بوليو» إلى «مايكناس»^(٧). «فيرجيل» هو بلا شك الذي قدم بدوره الشاعر «هوراس» إلى ذلك الوزير^(٨). وقد ظل «هوراس» يحتفظ له بهذا الجميل، الذي وطد العلاقة بين الشعارين، حتى لقد كان «هوراس» يعتبر «فيرجيل» نصف روحه *animae dimidium*^(٩)، ويضعه في منزلة أعز الأصدقاء، كواحد من تلك الأرواح التي لم تر الدنيا مثلها في النقاء والطهارة^(١٠).

لقد أمضى «فيرجيل» سبع سنوات، تنتهى عام ٣٠ ق.م.، في كتابة «الزراعات»، ثم كرس البقية الباقية من حياته في كتابة «النيادة»، وقد استغرق ذلك ما يقرب من إحدى عشر سنة. ولكن «فيرجيل» لم يشأ نشر عمله إلا بعد تنقيحه ومراجعته. ثم اعتزم القيام برحلة إلى الشرق

٤٢ ق.م.، وكان هؤلاء الآخرين أدبياً وشاعراً^(١) كما حظى أيضاً برضاء خليفته في الحكم وهو «ألفينوس فاروس» *Alfenus Varus*^(٢)، وكان من أعضاء لجنة توزيع الأراضي على الجنود، فالتجأ إليها طالباً المعونة، فنصحناه بأن يلجأ إلى قيصر الشاب في روما. وفعلاً يمهّد له «بوليو» سبيل اللقاء باوكتافيوس^(٣)، الأمر الذي ساعده في الحصول على قرار باسترداد مزرعة أبيه. وقد عبر «فيرجيل» عن امتنانه وعرفانه بالجميل للمحاكم الشاب «أوكتافيوس» وذلك في رعويته الأولى: (٦ - ١٠)

«أى ميليويوس، ان من منحني هذه النعم لهو اله، وسيظل في نظري الها دائماً، ذلك الذي سيروى مذبحة دائماً دم حمل وديع من حظائركم. فهو الذي سمح لي بأن أعرف على ناي الخش ما طاب لي من الحان».

وذلك رداً على قرار «أوكتافيوس» بإعادة الأرض إليه، ذلك القرار الذي جاء في نفس الرعوية على لسان «فيرجيل» كما يلي:

«اطلقوا الأبقار في البرعى، كما كنتم تفعلون من قبل، أيها الغلمان، وارسلوا الثيران»^(٤) ومنذ ذلك الوقت عاش «فيرجيل» بين روم و نابلي، حيث نظم فيها كتبه الأربعة عن

(١) قارن هوراس، الاغانى، ٢٤١، وقد تغنى فيرجيل بالثناء عليه في الرعوية الرابعة، كما أهدى إليه الرعويات المبكرة. قارن الرعوية ٨، ١١.

(٢) وقد تغنى فيرجيل بالثناء عليه في الرعوية السادسة.

(٣) أنظر Schol. Dan. on Ecl. 9. 10 'carmina quibus sibi Pollionem intercessorem apud Augustum concillanerat. Cited in T.E. Page, *Bucolics*, intr. p. Xlii, n. 1.

(٤) الرعوية الأولى، ٤٥: 'pascite ut ante boves, submitte turos'.

(٥) قارن الزراعات، ٤، ٥٦٢ - ٥٦٤.

(٦) أنظر

Donatus, vit. 25, 'Bucolica Triennio, Georgica VII, Aeneida xi perfecit annis).

(٧) أنظر هوراس، الهجائيات، ١، ٦، ٥٤، قارن Duff, op. cit. p. 319.

(٨) أنظر هوراس الاغانى ١، ٣، ٨.

(٩) أنظر هوراس، الهجائيات ١، ٥، ٤.

التي كان « فيرجيل » يكتب لها ، يتحولون عن كل قصيدة يعتمد كاتبها على فطرته فحسب ، ويرحبون باعادة انتاج البروانع الاغريقية . وقد وضع « هوراس » للشعراء القاعدة التي تحقق لهم النجاح في هذا المضمار :

« ادرسوا النماذج الاغريقية ، وتأملوها آماء الليل وأطراف النهار » (٥) .

ان « الرعوبات » تمثل أول أشعار مؤكدة للشاعر « فيرجيل » ، وهي تتألف من عشرة قصائد قصيرة ، تسمى عادة *Boukolika — Bucolica* يطلق عليها أحيانا اسم *Eclogae* بمعنى مختارات . كان شعر مدرسة الاسكندرية أحجب ألوان الشعر دراسة في ذلك الوقت من تاريخ الأدب اللاتيني (٦) ، وكانت رعويات « ثيوكريتوس — Theocritus

التي يطلق عليها اسم « ايديليا — Idyllia » كثر أشعار مدرسة الاسكندرية سحرا وجاذبية . وكلمة « ايديليا » معناها « صورة قصيرة ، تصور في معظمها حياة الرعاة وحياة الريف ، وغالبا ماتأخذ شكل الحوار . ويرجع أصلها في الغالب الى حب الموسيقى والولع بالاغاني ، اللذين ساعد على تطورهما سهولة وبساطة الحياة الرعوية في الجنوب ، مما يشجع جوا من البهجة والسعادة (٧) ، كما يرجع أيضا الى

لزياره بعض المعالم التي ورد ذكرها في عمله . وأثناء زيارته لبلاد اليونان ، التقى في « أثينا » بالامبراطور « اوغسطس » ، الذي كان عائدا من « ساموس » ، وصحبه في طريق عودته الى أرض الوطن ، ولكن صحة « فيرجيل » ، التي كانت غاية في الضعف ، قد تحطمت ، بسبب تعرضه للحر الشديد في « ميجارا » ، ولم يكد يصل الى « ايطاليا » حتى دهمه الموت في « برونديسيوم » في العشرين من سبتمبر عام ١٩ ق.م . ونقل جثمانه الى « نابلي » ودفن في قبر على الطريق المؤدية الى « بوتولي — Puteoli » (١) ، وقد أصبح هذا القبر في العصور التالية محل تبجيل أسطوري (٢) .

والنقش الذي يقال انه كان محفورا على قبره ، والذي نسب له البعض خطأ الى « فيرجيل » نفسه (٣) ، به اشارة الى محل ميلاده ومماته ودفنه والى موضوعات أعماله الثلاثة العظيمة :

لقد انجيتني ماتوا ، واحتطفتني كالابريا ، وتمسك بي الآن بارثينوبي (نابلي) : وقد تعنت بالمرعى والريف والقواد (٤) .

وقبل أن نعرض أعمال « فيرجيل » ، يجب أن نتذكر أن الشعر اللاتيني ، باستثناء الهجاء فيما يقال ، قد نهض أساسا على محاكاة النماذج الاغريقية بوجه عام . وكان قراء الدوائر المثقفة ،

(٥) هوراس ، فن الشعر ، ٢٦٨ : Vos exemplaria Graeca nocturna versate manu, versate diurna !

ويؤكد لنا سنيكا الأكبر (Suas. 3)

أن فيرجيل قد أخذ عن الاغريق

(٦) أنظر Jebb, Primer of Greek Literature, part III, ch. 1.

(٧) قارن لوكريتيوس ، عن طبيعة الاشياء ، ٥ ، ١٣٧٩

وما بعده .

(١) أنظر Cyril Bailey, Oxf. Class. Dict. p. 949.

(٢) قارن بلييني الاصغر ، الرسائل ٣ ، ٧ .

(٣) قارن :

Duff, op. cit. p. 320.

(٤) أنظر المرجع السابق ص ٣٢٠ :

Manuta me genuit, Calabri rapuere, tente nunc Parthenope : Cecini pascua, rura, duces.

« لوكريتيوس » بتعبيراته وأنغامه • وها هي بعض آيات هذه الانشودة (٥) :

فقد أخذ ينشد كيف أن العناصر الأولى للأرض والهواء والبحر والماء النارى قد اتقت معافى القضاء العظيم ، وكيف نشأت من هذه العناصر الأولى بداية كل الأشياء ، وكيف تشكلت الكرة الأرضية الرقيقة نفسها ، ثم كيف بدأت تتصلب وتحتجز البحر فى الأعماق ، وتكون أشكال الأشياء رويدا رويدا ، وكيف أن الأرض تذهل الآن من الشمس الجديدة التى تشرق من عل ، وكيف يسقط المطر من السحب المحلقة عاليا ؛ ومتى تبدأ الغابات فى الظهور لأول مرة ، ومتى تتجول الحيوانات القليلة بين الجبال التى لا تعرفها • وبعد ذلك يشير الى الصخور التى القتها بيرا ، والى ممالك ساتورنوس ، والى الطيور القوقازية ، والى سرقة بروميثيوس •

وفى هذا ما يدل على أن فيرجيل كان يرى امكان قبول الأبحاث الفلسفية كموضوع لشعره بجانب الموضوعات الأسطورية • وعلى كل فانه يكاد يكون أمر مستحيلا أن يحصى المرء جميع مصادر « فيرجيل » التى اعتمد عليها وسار على نهجها ، وقد لاحظ «ماكروبيوس» (٦) أن علم «فيرجيل» يميزه حياء نصف صامت وخفى يجعل من الصعب الاهتداء الى منابع علمه •

ومهما قيل عن التناقض وغلبة الصنعة فى الرعويات ، لا يستطيع أحد أن ينكر اخلاص هذه الأشعار فى حبها للطبيعة واهتمامها بالجمال ،

عادة التنافس فى الغناء والى الارتجال الذى كان شائعا فى الاعياد الريفية ، وعلى الاخص بين الدوريين ، الذين كانوا يشكلون جزء كبيرا من المستعمرات فى صقلية ، حيث أمضى «نيوكريتيوس» معظم حياته ، رغم أنه ولد فى جزيرة كوس - Cos » وأمضى بعض الوقت فى الاسكندرية (١) .

ورغم أن رعويات « فيرجيل » ، من ناحية الشكل ، تعتبر محاكاة لرعويات « نيوكريتيوس » ، إلا أنها تختلف عنها فى الجوهر • فرعويات « نيوكريتيوس » مرتبطة بالطبيعة الحقة ، فالمنظر واقعية ، والرعاة حقيقيون من لحم ودم يتدفقون حيوية ، أما رعويات « فيرجيل » فيغلب عليها طابع الصفة والفن ، فهى صور مثالية للحياة الريفية ، كتبت لتناسب النوق الرفيع لقراء عاصمة العالم المثقفين (٢) . وقد لاحظ « هوراس » (٣) أن أهم ما يميز هذه الرعويات هو الرقة والرشاقة Rutuli «atque facetum» ولكن لو تأملنا رعويات

« فيرجيل » بامعان ، لأدركنا أن « نيوكريتيوس » لم يكن بأى حال النموذج الوحيد الذى احتذاه «فيرجيل» ، فمما لاشك فيه أن « فيرجيل » قد أحب « هيسود » وتأثر به حتى قبل أن يقدم على كتابة الزراعات ، كما أنه لابد وأن يكون قد وقع تحت تأثير شعراء روما السابقين عليه ، فبعض حركات عروضه تذكر المرء بكتاتولوس (٤) . وفى الرعوية السادسة المهداة الى « فاروس » تبدأ أغنية « سيلينوس » بقصة نشأة العالم على نهج

(١) أنظر

T.E. Page, Virgil, Bucolics, inter. p. xviii

(٢) المرجع السابق ص ١٨ - ١٩

(٣) أنظر هوراس ، الهجائيات {٤١، ٤٢}

(٤) قارن

(٥) الرعوية السادسة، ٢١ وما بعده ، قارن لوكريتيوس عن طبيعة الاشياء ، ٥ ، ٢٣٥ وما بعده .

(٦) أنظر ماكروبيوس ، ساتورناليا ، ١٨ فى أوله، قارن

Duff, op. Cit. p. 323

Duff, op. Cit. p. 323

من اللغة اللاتينية أنعاما وإيقاعات رائعة لم يسمعها الرومان من قبل . ومن ثم فقد لاقت الرعويات نجاحا كبيرا بمجرد ظهورها ، حتى يقال انها كانت تلقى على المسرح بحماس عظيم^(٤) . وهذه الأشعار هي التي منحت فرصة الدخول في بلاط « أوكتافيوس » والحصول على رعاية « مايكيناس » ، ومكنته من احتلال مكانه اللائق به كشاعر للطبيعة والحياة الريفية . وليس معنى ذلك أن « فيرجيل » قد بلغ ذروة الكمال الفنى في هذه الأشعار ، فمازال أمامه خطوات يخطوها نحو الكمال عندما يتناول موضوعات أسى وأجل . وهذا ما نراه فى عمله التالى « الزراعيات » .

و « الزراعيات » كما يدل عليه « Georgica » عبارة عن مقالة عن شئون الزراعة وما يتعلق بها . وقد كتبها « فيرجيل » تلبية لرغبة « مايكيناس »^(٥) ، كما أنها مهداة اليه . فمنذ نشر الرعويات وقد أصبح فيرجيل أحد رجال الأدب الذين تعتمد عليهم الدولة فى الدعاية لمشروعاتها . وقد كان أحد المشروعات الهامة ، التى واجهت « أوكتافيوس » ووزير « مايكيناس » ، صد الخطر الداهم الذى يهدد إيطاليا ، أعنى خطر اهمال الأراضى والهجرة من الأرياف . فليس بعجيب اذن ان يشير « مايكيناس » على « فيرجيل » بكتابة هذه المقالة عن « الزراعيات » كوسيلة من وسائل الدعاية بقلم شاعر أثبت مقدرة فائقة على التعبير عن مثل هذه الأمور فى الرعويات ، وذلك بمهارة لم يسبق لها نظير .

وتوفيقها فى توصيل هذه التأثيرات الى نفس القارىء . فالشاعر يجعل أهل الزيف يتغنون كما لو يتغن أهل ريف من قبل ؛ ففى « أركاديا » ، التى صورها فيرجيل على نهج « ثيوكريتوس » ، وان كان قد زينها بحيث امتزجت فيها المناظر الايطالية بالمناظر الصقلية فى تناقض يشبه تناقض الأحلام ، يشدو رعاة مثاليون متغنين بحبهم لراعيات مثاليات ، ذاكرين آمالهم وأحوال يأسهم ، وهم يتبارون على نهج لا يمثيل له بأبيات يشدها كل بدوره^(٦) . فهنا « أركاديا » ليست مقدمة لتحليل بل للمتعة والتذوق : قطعة من أرض الجنوب ذى الشمس المشرقة والأشجار المورقة والظلال الوارفة ، حيث يسير الناس الهوينى بين المراعى والقطعان والحشائش والزهور والتلال والكهوف . وحتى عندما تسمع أصداء الحرب والمصادر التى نجمت عنها ، فانك تحس أن موسيقى « فيرجيل » قد طغت عليها ، فأين أحدهم على مصادرة أرضه ، يقابله من ناحية أخرى تبجيل المعترف بالجميل لأوكتافيوس الإله الذى يمنح السلام^(٧) . وان الرعويات مليئة بتلك اللمسات التى تكشف عن شعور رومانتيكى نحو الطبيعة والهرب من حضارة المدينة^(٨) .

وعلى كل فان رعويات « فيرجيل » كانت شيئا جديدا على الرومان ، فالى جانب جمالها ومواطن سحرها ، كانت متقنة من الناحية الفنية ، فقد نجح « فيرجيل » فيما فشل فيه غيره ممن سبقوه ، فخلق

(١) أنظر الرعوية السابعة ، قارن Duff, op. Cit. p. 323

(٢) أنظر الرعوية الاولى

(٣) أنظر على الاخص الرعوية الاولى ٥١ وما بعده ، الرعوية الخامسة ٤٥ وما بعده ، ٨١ وما بعده ، الرعوية الثامنة ٣٧ وما بعده .

(٤) قارن تاكيتوس ، محاوراة حول الخطباء ، ١٣ ، ٦

٨ -

(٥) الزراعيات ، ٣ ، ٤١-٤٢ :

«... tua, Maecenas, haud mollia iussa:
te sine nil altum mens inchoat.»

تتألف «الزراعات» من أربعة كتب تحتوى فى جملتها على ٢١٨٨ بيتا . وان أهم ما يميز «الزراعات» هو احكام صقلها ، فقد كتبت على مهل وبغاية فائقة ؛ فلو سلمنا بأنها كتبت فيما يقرب من سبع سنوات ، لكان متوسط ما كتبت فى اليوم الواحد أقل من بيت واحد . ومن ثم فقد صقل كل بيت صقلا تاما ، أو على حد قول «فيرجيل» نفسه فيما يقال «كان يلمس أيبانه ليعطيها شكلا كما تفعل الدبة بأولادها» (١) ولذلك فان الزراعات تعتبر أحسن ما أنتج «فيرجيل» من ناحية المهارة الفنية ، بل أروع ما كتب باللاتينية فى الشعر التعليمى ، لا يدانيها الا عمل «لوكرتيوس» المعروف باسم De Rerum Natura أى «عن طبيعة الأشياء» .

ويعالج الكتاب الأول من «الزراعات» موضوع زراعة المحاصيل والعلامات الدالة على تقلبات الجو ؛ ويتحدث الثانى عن زراعة الأشجار لا سيما أشجار الكروم والزيتون ؛ ويناقش الثالث موضوع تربية الماشية ؛ والرابع يعرض موضوع تربية النحل ، الذى يبدو أنه كانت له أهمية أكثر مما له الآن ، باعتبار أن عسل النحل كان المصدر الوحيد للحصول على مادة السكر ، ويختتم فيرجيل هذا الموضوع بمشهد أسطورى يحتل ما يقرب من مائتين وخمسين بيتا (٥١٥ - ٥٥٨) يحكى فيه «فيرجيل» كيف أن الراعى «أريستايوس» كان السبب فى موت «يورديكى»

زوجة «أورفيوس» ، ومن ثم فقد غضبت عليه أخواتها عرائس الغاب وانتقمن منه بأن دمرن جميع خلایا نحلته ، فذهب الى أمه «كيرينى» يستشيرها فى هذا الأمر ، فنصحته بأن يذهب الى «برويتوس» فعنده الخبر اليقين، فيكشف له هذا عن سبب ما نزل به من دمار ، ويطلب منه أن يعمل على تهدئة عرائس الغاب بتقديم بعض الثيران كأضحيات ، وقد خرجت من جيف هذه الثيران أسراب جديدة من النحل .

ان عملا كهذا ، كان من الممكن ، فى يد شاعر آخر غير «فيرجيل» ، أن يتحول الى قصيدة تفيض بالمديح والثناء على السياسة الزراعية للدولة . أما «فيرجيل» فعلى الرغم من أنه أثنى على «أكتافوس» وسياسته الزراعية أكثر من مرة (٢)، إلا أنه خصص كل العمل لوصف الأمور الزراعية ، كما يراها هو باعتباره أحد الزراع ، الذين يحبون الحياة الريفية ويعرفون كل ما فيها من حلاوة ومرارة .

والمصدر الوحيد الذى يعترف «فيرجيل» بمحاكاته هو «هيسود» «شاعر أسكرا» المعروف ، اذ يقول : «انى أتنفى بشعر أسكرا فى البلدان الرومانية» (٣). وعمل «هيسود» ، الذى يقال ان «فيرجيل» قد سار على نهجه ، هو «الأعمال والأيام Erga Kai Hemera» ، وهو عبارة عن مجموعة من الحكم والنصائح والارشادات

(٢) انظر على الاخص الزراعات ١ ، ٤٩٨ وما بعده وهى دعوة خالصة لالة روما أن تبقى على أوكتافوس ليعمل على اقتاد الدولة من الدمار ، وانظرا أيضا الزراعات ١٠٣ ، وما بعده .

(٣) الزراعات ٢ ، ١٧٦ : 'Ascraeum cano Romana per oppida carmen'

(١) انظر جيلبوس ، الليالى الانبيكية ، ١٧ ، ١٠ ، ٢ ، 'parere se versus more atque ritu ursino'.

فان دوناتوس ، حياة فيرجيل ٢٢ : 'Carmen se more parere dicens et lambendo effingere'.

Duff, op. cit., p. 320

وقارن :

لقد استطاع «فيرجيل» أن يخلق شعرا من أشياء لا تمكن بها أدنى شاعرية ، وقد عبر «فيرجيل» عن عدم ثقته في نفسه وهو يتعرض لمثل هذه الموضوعات التافهة (١) .

نأتى الآن الى بيت القصيد فى هذا المقال ، أعنى «الانيادة» . لقد بدأ «فيرجيل» فى كتابتها حوالى عام ٣٠ ق.م وهو فى سن الأربعين ، وقد عكف على كتابتها الاحدى عشرة سنة الأخيرة من حياته ، ومع ذلك فانه لم ينته من تنقيحها ، بحيث يرضى عن نشرها ، فقد كان بها كثير من أنصاف الأبيات التى لم تكتمل ، حتى لقد أراد «فيرجيل» أن يقوم بتدمير هذا العمل الضخم حين وافته المنية ، لولا أن تدخل الامبراطور «أوغسطس» وعمل على انقاذه، فأمر «فاريوس» و «توكا» أن يقوموا بنشر «الانيادة» على أن يحذفوا الزيادات دون أن يضيفا شيئا من عندهما . وعلى هذا ، وبعد مرور عامين على وفاة «فيرجيل» أى حوالى عام ١٧ ق.م ، طلعت على العالم ملحمة «فيرجيل» الخالدة «الانيادة» التى تنبأ لها «برويرتيوس» بأنها ستكون «شيئا ما أعظم من الانيادة» . (٢)

ويبدو أن «الانيادة» لم تكن أول محاولة يقوم بها «فيرجيل» لكتابه الملاحم ، فقد سبقها بعض المحاولات التى لم يكتب لها النجاح (٣) . ومع ذلك فان «فيرجيل» لم يأس ، فقد أعلن فى الأبيات الافتتاحية من الجزء الثالث للزراعات عن

(١) انظر مثلا الزراعات ٣ ، ٢٨٩ - ٢٩٠ ، وهو مقدم على موضوع الغنم والماعز . وانظر أيضا الزراعات ٤ ، ٦٤ - ٧٠ ، عندما يتعرض لموضع النحل

قارن Duff, op. cit., p. 326 ff.

(٢) انظر بروويرتيوس ، ٣ ، ٢٦ ، ٦٥ :
‘Cedite Romani scripores, cedite Grai,
Nescio quid maius nascitur Iliade’

عزيمة على محاولة الكتابة فى موضوع أكثر سموا ، حيث يقدم ملحمة عظيمة يكون «قيصر أوغسطس» الشخصية الرئيسية بها (٤) . وقد وفق «فيرجيل» أكبر توفيق أن اختار قصة «أينياس» لتكون الهيكل الذى يبنى عليه ملحمة ، ولم يحاول أن يكتب ملحمة تاريخية دقيقة ، فلم تكن الحروب ، التى شتت بين قتلة قيصر والحكومة الثلاثية ، لتمده بالمادة الغنية التى أمدته بها قصة «أينياس» ، فهذا الاختيار ممكن من مزج الحقيقة التاريخية بالخيال الأسطورى . ومن ثم جاءت «الانيادة» ملحمة قومية وطنية قصد بها ربط أصل الرومان ، وعلى الأخص الأسرة اليولية ، بالآلهة والأبطال العظام ، كما قصد بها أيضا ، ولو بطريق غير مباشر ، تمجيد كثير من عادات وطقوس الرومان ، وذلك يربطها بعادات وطقوس عصر الأبطال . ثم ان «أينياس» وأتباعه ، بأصرارهم على احراز النجاح ، رغم اعتمادهم على الآلهة فى حل جميع الصعوبات والمخاطر التى واجهتهم ، يمثلون خير تمثيل تلك الفضائل والمميزات التى عملت ببطء على تأسيس الامبراطورية الرومانية وتدعيمها ، بينما «أينياس» نفسه ، باعتباره الحاكم الأبوى لشعبه : قائدهم فى المعركة ، وواضح تشريعاتهم فى وقت السلم ، وكاينهم الأعظم فى كل ما يتعلق بالشئون الروحية

(٣) قارن الرعويات ٣٦ - ٥ :

‘Cum canerem reges et proelia, Cynthius
aurem/vellit et admonuit: pastorem,
Tityre, pingues/pascere oportet oves,
deductum dicere carmen.’

قارن أيضا دوناتوس ، حياة فيرجيل ، ١٩ :

‘Cum res Romanas incohasset,
offensus materia, ad Bucolica transiit’.

(٤) انظر على الأخص الزراعات ٣ ، ٤٦ - ٤٨ :
Mos tamen ardentis accingar dicere pugnas
Caesaris, et nomen fama tot ferre per annos.
Tithoni prima quot abest ab origine Caesar

أتى من صلبه العنصر اللاتيني وسادة ألبا وروما
ذات الأسوار الشامخة .

وكما فعل « هومر » في « الأوديسا » ،
فعل « فيرجيل » أيضا في « الانياذة » ،
فلم يبدأ الأحداث منذ سقوط طردادة وبداية
مغامرات « أينياس - Aeneas » ، بل بدأها وقد
أوشك « أينياس » أن يصل الى غايته ، فقد كانت
إيطاليا على مرأى البصر ، لولا « جونو - Juno »
عدوة الطرواديين اللدودة ، منذ حكم «باريس»
بالتفاحة الذهبية لفينوس ؛ فقد كانت تعلم أن
نهاية قرطاجة ، وهى أحب مدينة لديها ، ستكون
على يد رجال من طروادة بعد أن يؤسسوا
لأنفسهم إمبراطورية أخرى جديدة أشد وأعظم .
ومن ثم فإن « جونو » قد استطاعت أن تستميل
« أيولوس - Aeolus » ، إله الرياح ، فيرسل
عاصفه هوجاء تعصف بأسطوله الذى يجرفه التيار
قريبا من ساحل أفريقيا الخطر . ولكن
نيتونوس - Neptunus إله البحار أحس بالعاصفه ،
فأدركه برحمته ، فجعل المياه تهدأ والأمواج
تخلد الى السكون . لقد غمر اليم ثلاثا من سفن
« أينياس » ، ولكن البقية الباقية وصلت ساعة الى
مواقع مختلفة من الشاطئ . وفى اليوم التالى
توغل « أينياس » داخل البلاد ، يصحبه تابعه
المخلص « أخاتيس - Achates » ، حتى وصل الى
مدينة قرطاجة . وفى الطريق تقابله أمه الالهة
« فينوس - Venus » ، وكانت قد اطلعت من
« جوبيتر - Jupiter » على المصير الرائع الذى

والدينية ، يمثل بوضوح شخصية « أوغسطس »
مؤسس الدولة الجديدة (١) .

والانياذة تتألف من اثني عشر كتابا تحتوى
على ما يقرب من ٩٨٩٦ بيتا . فهى عمل ضخيم
جدا ، حتى أن الإمبراطور قد علق عليه بأن
« فيرجيل » عندما بدأ هذا العمل ، كان ولا بد فى
حالة من حالات ذهاب العقل (٢) . تصف الكتب
الستة الأولى تجوال أينياس ومغامراته ، بينما
تصف الكتب الستة الثانية حروبه ومعاركه ؛
فكان الملحمة الرومانية اذن تمثل ملحمتى «هومر»
الأوديسا والانياذة ، كما أنها تسير على منوالهما
فى معظم أجزائها ، وإن كان هناك أيضا بعض
الأجزاء التى نسجت على منوال «الأرجووتيك»
التى كتبها « أبو للونيوس الرودى » الشاعر
السكندرى المعروف الذى ازدهر فى الفترة ما بين
٢٢٢ ، ١٨١ ق م .

لقد افترض فيرجيل ملحمة بالأبيات التالية: (٣)
انى اتغنى بالسلاح وبالرجل الذى قدر له أن
يكون أول من يأتى من شواطئ طردادة ويصل
الى إيطاليا وساحل لا فينيوم ، رغم أنه كتب عليه
أن يكون طريدا ؛ لقد قاسى ذلك الرجل وتعذب
فى البر والبحر بقوة من السماء ، وذلك ارضاء
لغضب جونو الذى لا يهدأ ولا يلين ؛ كما تحمل
الكثير فى المعارك الحربية ، قبل أن يتمكن من
تشيد مدينة وتدعيم آلهته فى افليم لايتوم ؛ وقد

(١) أنظر :

T.E. Page, Virgil, Aen. VI., Intr. p. xviii
Sellar's Virgil, p. 344

(٢) أنظر ماكروبيوس ، ساتورناليا ، ١ ، ٢٤ :

Tanta incohata res est ut
paene vitio mentis tantum opus ingressus
mihi videar, ...

Duff, op. cit. p. 321

تارن :

(٣) لقد لخصنا أسطورة تأسيس روما بشئ من التفصيل
فى مقال آخر بعنوان « الاساطير الرومانية » ، نشر فى نفس
هذه السلسلة ، العدد الثانى من المجلد السادس ، إبريل
عام ١٩٦٤ .

قدر لمدينة « روما » ، فتخبره بأن « ديدو Dido » هي حاكمة هذا الوطن الجديد ، فقد هربت من موطنها الأصلي « تيري » بعد مقتل زوجها السابق « سيخايوس - Sychaeus » . لقد استقبلت الملكة « ديدو » البطل « أينياس » أحسن استقبال وأكرمت وفادته ، وأرسلت « فينوس » « كيوييد - Cupido » ليكمل « ديدو » تهيم غراما بحب « أينياس » ، وذلك بإيعاز من « جونو » ، التي كانت تهدف الى استبقاء « أينياس » بجوار « ديدو » وبذلك لا يتحقق له ما كان مقررا أن يقوم به . وأثناء الوليمة التي أقامتها « ديدو » في تلك الليلة اكراما لضيفها العزيز ، تطلب منه أن يصف لها سقوط طردادة ويحدثها عن جولاته ومغامراته .

وفي الكتاب الثاني يبدأ « أينياس » الرواية ، فيتحدث عن سقوط طردادة وقصه الحصان الخشبي ، وكيف أن أمه « فينوس » أمرته بالفرار بصحبه أبيه « أنخيسيس - Anchises » وابنه أسكانيوس ، وهو نفسه ايولوس - Iulus الذي قدر له أن يكون مؤسس الأسرة اليولية « gens Julia » ، أما زوجته « كريوسا - Creusa » فقد تاهت عنهم ، وبينما كان يبحث عنها ، يقابله شبحها ، فقد ماتت ، ويفضى اليه أنه قدر عليه أن يستقر في بلاد الغرب « Hesperia »

وفي الكتاب الثالث يتابع « أينياس » حديثه عن تجواله منذ ذلك اليوم بحثا عن الوطن الموعود ، فيصل أولا الى طراقيا ومنها الى كريت وبعدها الى بيروس ، ثم الى صقلية حيث مات أبوه « أنخيسيس » .

أما الكتاب الرابع فيعرض فيه « فيرجيل » علاقة « ديدو » مع « أينياس » . لقد مكث أينياس في « قرطاجة » عدة شهور تحوطه « ديدو » برعايتها وتغمره بحبها ؛ لقد باحت « ديدو » لأختها « آنا - Anna » بأنها على الرغم من قسمها بالآل تتزوج أبدا بعد موت زوجها الراحل ، الا أنها تنهار يوما بعد يوم منذ وقعت تحت تأثير سحر « أينياس » . وذات يوم ، بينما كانا في رحله صيد ، أرغمتها ريح عاصفه أن يحميا في كهف ، حيث نسيا نفسيهما ، وشربا كأس الحب حتى الثمالة ، وحدث بينهما ما ظنته « ديدو » زواجا . حدث كل هذا ابتدير من « فينوس » وموافق « جونو » على استمرار هذا الحب ، حتى تظل الالهتان في أمن وسلام ، ولكن « چوبيتير » يرسل رسوله « ميركوريوس - Mercurius » ليذكر « أينياس » بواجبه . يحاول أينياس أن يدبر أمر رحيله سرا ، حتى لا يؤلم « ديدو » ولكنها تكتشف الأمر ، فتتوسل اليه ألا يتركها وحيدة ، ولكن بلا جدوى ، فقد كان عليه أن ينفذ ما أمر به « جوبيتير » وفي لحظة من لحظات اليأس والألم ، التي تسيبها لوعة الغراق ، تقتل ديدو نفسها .

ان مشهد اللقاء الأخير بين « ديدو » وأينياس من أروع ما كتب « فيرجيل » ، لهذا رأينا ترجمته كنموذج من « الانيادة » ، رغم أن الترجمة بالطبع ستفقد المشهد الكثير من روعته وجمال أسلوبه : -

٣٠٤ وأخيرا هاجمت أينياس بهذه الكلمات :

« أيها الخائن ، أكنت تأمل أيضا أنك

تستطيع إخفاء مثل هذا الجرم الشنيع ، وترحل عن
عن بلادى سرا ؟ ألا يمكن لحبنا وأيدينا التي
تسابكت ذات يوم وديدو التي ستموت ميتة قاسية
أن تستبقيك ؟

الملكة ، أى شىء من أفضالك ، التي يمكنك أن
تعيدها كثيرة جدا ؟ ولن أمل من تذكر السا ،
طالما أنى ذاكر لنفسي ، وطالما أن أنفاس الحياة
تدب في هذه الأعضاء •

٣١٥ أتفر منى؟ بحق هذه الدموع وبحق يملك،
اذ لم يبق لى شىء آخر غيرك ، يالى بأثسه ، بحق
تعانقنا ، وبحق طقوس عرسنا التي ما تزال في
البداهة ، لو كنت أستحق منك أى معروف ، أو
كانت لمعزتي عندك أى تقدير ، أشفق على بيت
يتداعى ، واذا كان ما يزال للضراعة أى مكان
فانى أضرع اليك أن تطرد هذه الفكرة من
رأسك !

فبسببك كرهتني قبائل ليميا وزعماء النوميدين،
وبسببك أصبح التيريون أعدائي ، وبسببك أيضا
ضاع حيائي وتحطمت سمعتي السابقة التي كنت
أستطيع بها فقط أن أصعد الى نجوم السماء •
عن تتركني عرضة للهلاك ، أيها ... الضيف ؟
اذ أن كلمة زوج أيضا قد تضاء لت وانكلمشت !
الى أين أمضى ؟

٣٢٧ لو أنى على الأقل أنجبت منك قبل
رحيلك ذرية ما ، لو كان لى أيناس صغير يلعب
فى أبهاء قصرى ، فيجعلك على الأقل تعودانى فى
المستقبل ، لا بدوت أمامك بأى حال على هذه
الصورة الذليلة الكسيرة ! »

كانت قد تكلمت ، بينما بقى الآخر مجدفا
بعينه ، بناء على تعليمات جوبيتير ، وهو يخفى
بين جنبيه هما دفينا يصر على كبح جماحه ؛
وأخيرا يردردا مختصرا : « لن أنكر قط ، أيتها

لتكن كلماتي قليلة لتناسب المقام • انى لم
أفكر قط فى أن أحيط هذا الرحيل بطى من
الكتمان ، لا تتصورى هذا ، كما أنى لم أعرض
عليك أبدا مشاعل الزواج ، أو أتيت لمثل هذه
الارتباطات . لو أن الأقدار سمحت لى بأن أشكل
حياتى وفق هواى وأن أعمل على حل مشاكلى
بمحض رغبتى ورادتي ، لكان أول ما يخطى
باهتمامى مدينة طردادة ورفات أصدقائى الأعزاء،
ولظلت منازل بريام الشامخة قائمة، ولعملت ييىدى
هذه على استرداد برجام لأبنائها المنهزمين •
أما الآن فقد أمرنى أبوللو سيد جرينيوم بأن
استحوذ على ايطاليا العظيمة ، ايطاليا مقر النبوءات
الليكية ؛ هذا هو حجبى ، وهذا هو وطنى • وأنت،
باعتبارك فينيقية ، لو أن قلاع قرطاجه ورؤية
المدينة اللبية قد استولت على نفسك فأى ضيم فى
أن يستقر التيوكريون فى أرض أو سونيا ؟ فمن
حقنا نحن أيضا أن نبحث عن ممالك خارجية •

ان طيف أبى انخيسيس يندرنى فى أحلامى
ويخيفنى بنظرته المضطربة ، كلما خيم الليل على
العالم بظلاله الندية ، وكلما طلعت النجوم
المتوهجة (كما يندرنى أيضا) الفتى أسكانيوس
والأضرار التي نزلت برأسه العزيز ، الذى
أوهمته بحكم هيسبيريا وبالأراضي الموعودة •
ون رسول السماء أيضا ، الذى أرسله زيوس
بنفسه ، وأستشهد على ذلك برأسينا ، قد حمل

الى تعليمات خلال الهواء المنطلق ؟ وقد رأيت
الاله فى وضع النهار وهو يدخل الأسوار والتقطت
صوته بأذنى هاتين •

أقلعنى عن احراق روحى وروحك بشكاياتك،
فانى لا أتجه الى ايطاليا بمحض ارادتى • «
لقد كانت تحملق فيه شذرا طوال الوقت وهو
يتكلم على هذا النحو ، وهى تجيل بعينها هنا وهنا
وترمقه كله بنظرانها الصامته ، ثم انفجرت فى
اشتعال وقالت ما يلى :

« لم تكن أمك الهة ، ولم يكن داردانوس ،
أيها الغادر ، مؤسس عنصرك ، ولكنك جبلت من
صخر أصم ، اذ أنجبتك جبال القوقاز المريعة ،
وأرضعتك نمرات هيركانية •

فلما ذأخفى الحقيقة ؟ ولأى مصائب أجل
أدخر نفسى ؟ فهل يمكن أن أتصور ما هو أكثر
مهانة من ذلك ؟ والآن والآن فقط لا تنظر جونو
العظيمة ولا أبوها ساتورنوس الى هذه الأمور
بنظرة متعادلة •

ان الاخلاص لا أمان له على الاطلاق ؟ لقد
رحبت به عندما جاء الى شاطئى شريدا طريدا ،
وجعلته فى لحظة جنون شريكا لى فى الملك ؟
كما أنقذت أسطوله من الضياع وبحارته
من الموت •

هيلاه ! انى أقلب محترقة بنار من الغيظ !
والآن فان ابوللو كاشف الغيب والنبوءات الليلية
ورسول السماء الذى أرسله زيوس بنفسه ،
يحمل الآن الأوامر الخطيرة خلال الهواء •

هذا بالطبع هو كل عمل آلهة السموات
العلی ! وهذا هو الهم الذى يقلق راحتهم ! انى
لن أستبقيك ولن أرد على ادعاءاتك ؟

اذهب لتحملك الرياح الى ايطاليا ، ولتبحث
عن الممالك وسط الأمواج •
وانى أتمنى فى الواقع أن تتجرع كأس
الشقاء وسط صخور البحر ،

آه لو تستطيع قوى الآلهة الطيبة ذلك ،
وأن تهتف باسم ديدو مرارا وتكرارا •
ورغم بعدى عنك ، فانى سوف أقتفى أثرك
بالنيران المريعة ، (نيران الهات الغضب)

وعندما ينزع الموت البارد الروح عن
اعضائى ، فان طيفى سيلاحقك فى
كل مكان ؛ أيها الناصر للجميل ، سوف ينزل بك
العقاب .

وسوف أسمع بذلك ، اذ ستصل الى
الرواية حتى ولو كنت فى أعماق العالم الآخر •
قالت هذه الكلمات وقطعت الحديث من
منتصفة ، وانطلقت بسرعة وكأن مرضا أصابها،
ونأت بنفسها عن ناظرية واندفعت الى الخارج،
تاركة اياه وقد انعقد لسانه بخوف شديد، وان
كان يود أن يقول الكثير •

أما هى فقد أنهضتها الوصيفات وحملن
اعضاءها المنهارة الى حجرتها المرمية وأرقدنها
على السرير •

ولكن أيناس الطيب ، رغم أنه يتوق الى
ان يخفف من آلامها بالتسرية عنها، والى أن يزيح
عنها الهموم بكلماته ، فانه يشأ أننا موجعا ،
ويضغط على قلبه المعذب بجبهه العظيم ،

٣٩٦ - ويعود الى الأسطول تنفيذاً لأمر
السماء •

ويبدو أن « فيرجيل » فى هذا الكتاب قد
تأثر برومانسية مدرسة الاسكندرية ، وخاصة

بمعل « أبولونيوس الرودى » المسمى « أرجوناوتيكاً » ، ف شخصية « ديدو » تشبه الى حد ما شخصية « ميديا » ، الا أن « ديدو » أقوى شخصية وأكثر رومانتيكية . وفى هذا الكتاب تظهر على « أينياس » للمرة الأولى والأخيرة مظاهر الضعف الانسانى ، ولكنه قد يبدو أيضا ، كما رأى البعض^(١) ، خسيسا جديرا بالازدراء ، فقد قبل حب « ديدو » ثم هجرها وتركها للئس والموت ، كما أن رده عليها فى الدفاع عن نفسه يغلب عليه طابع المنطق والبلاغة الباردتين . ولكن يجب أن نذكر دائما أن « أينياس » طبقا لتصوير « فيرجيل » له ، ليس لديه الا قدر ضئيل جدا من حرية الارادة ، وهجره « ديدو » أمر حتمى ، فهو تنفيذ لقوة ارادة السماء ، التى تتحكم فى آمال الناس ولا تعنى بأى شىء عارض يقف حائلا دون تحقيق ارادتها ؛ وان ما جرى لأنطونيوس وما جناه عليه حبه لكليوباترا كان صدها ما يزال يتردد فى أرجاء الامبراطورية ، عندما بدأ « فيرجيل » يكتب « الانايادة » ؛ وقد يكون غرض « فيرجيل » الاشارة الى أن حب أى امرأة ، مهما كانت ، يجب أن يعد أمرا تافها ، اذا قيس بمصالح الامبراطورية ، وكان حائلا أمام بناء مجدها العظيم .

وعلى كل فان هذا الكتاب يكشف عن حدة فى الطبع ، وتأجيج فى العاطفة ، وقدرة فائقة على خلق المواقف الدرامية ، وهى مزايا لم تكن ليظهر منها فى أعمال « فيرجيل » السابقة الالمحات خاطفة .

أما الكتاب الخامس فهو يمثل مرحلة انتقال تخفف من حدة مأبأة « ديدو » ، وتمهد لغموض وروعة الكتاب السادس ، كما أنه يقدم فرصة يحاكى فيها « فيرجيل » بعض المشاهد من « هومر » . فقد خصص معظم هذا الكتاب لعرض الألعاب التى أقامها « أينياس » ، بعد عودته الى صقلية ، احتفالا بمرور عام على وفاة أبيه ؛ وهى تشبه الى حد كبير الألعاب التى أقامها « أخيل » تكريما لموت صديقه « باتروكلوس » ، كما صورها « هومر » فى الكتاب الثالث والعشرين من « الانايادة » . وينتهى الكتاب بانقاذ بعض سفن « أينياس » بمعجزة من الحريق الذى اشتعل فى الأسطول بإيعاز من « جونو » ، وبغرق بالينوروس Palinurus مرشد سفينة « أينياس » كفدية لسلامة الآخرين .

ويبدأ الكتاب السادس بوصول « أينياس » الى ساحل ايطاليا . وما ان يصل حتى يأخذ فى البحث عن العرافة « سيبلا - Sibylla » فى « كوماى - Cumae » . ان « فيرجيل » فى هذا الكتاب يبدو أكثر غنى وثراء وأكثر استقلالا وبعدا عن النقل والتقليد ، فقد جمع « فيرجيل » فى هذا الكتاب كل ثمار دراسته وثقافته واطلاعه عن الأساطير والنبوءات والطقوس وعن التاريخ والفلسفة ووضعها جميعا فى تلك الصورة الخيالية الرائعة التى صور بها رحلة « أينياس » الى العالم الآخر وكشف بها عن أحداث المستقبل ، هذا رغما من التشابه الظاهرى بين رحلة أينياس الى العالم الآخر فى انيادة « فيرجيل » ورحلة « أوديسيوس » فى الكتاب الحادى عشر من « أوديسا » هومر .

(١) انظر :

T.E. Page, Virgil, Aen. VI intr. pp. XX-XXI.

ان الكتاب رائع وممتع • وان الصورة التي رسمها فيرجيل لنزول الوحي على العرافة لهى احدى الصور الجميلة التي جاءت فى هذا الكتاب

٤٥ - كانوا قد وصلوا الى الأعتاب ، عندما قالت العذراء :

« هذا وقت طلب الوحي ، الاله ، هاك الاله ! » وفجأة لم يبق لهذه المرأة، التى قالت مثل هذا الكلام أمام الأبواب ، نفس الملامح ، كما لم يبق لونها على حاله ، ولم يعد شعرها ممسطا ، بل أخذ صدرها يعلو ويهبط لاهثا ، وينتفخ قلبها بجنون وحشى، وهى تبدو وكأنها أكبر مما هى ، ولا تنطق بما هو آدمى ، فقد نَفث فيها الآن من قوة الاله القربية •

فهى تقول : « أى أينساس الطروادى ، أتأخر عن تقديم النذور والأدعية ، أتأخر ؟ فقبل ذلك لن تفتح الأبواب العظيمة لهذا المنزل الذى أصابته الدهشة . » ثم صمتت بعد أن قالت هذا الكلام •

لقد سرت فى عظام التيوكريين الجامدة رعدة باردة ،

ثم انهزم الملك بالدعوات من اعماق فؤاده:

« أيا فوييوس ، يامن كنت تعطف دائما على الشدائد الثقالة التى حلت بطروادة، يا من وجهت سلاح باريس الدردانى ويده الى جسد سليل أياكوس، انى بإرشادك دخلت بحارا عديدة تحف بلادا عظيمة ، وقبائل الماسيلي القاصية ، والحقول التى تمتد أمام صخور سيرتيس ، وهانحن الآن فى النهاية تشبث بشواطئ ايطاليا

التي تحاول الهرب منا ؛ وانى أدعو أن يكون خط طروادة قد تبعنا الى هذا الحد فقط •

٧٧ - ولكن الكاهنة ، ولم تعد تطيق الآن فوييوس ، فانها تضطرب فى الكهف اضطرابا وحشيا ، بأمل أن تتمكن من اخراج الاله العظيم من صدرها • ولكن كلما ازداد اضطرابها ، كلما ازداد فيها المجنون انهاكا ، وقهر قلبها لتوحش وشكلها قهرا •

وانفتحت الآن أبواب المنزل المائة الضخمة ، انفتحت من نفسها تحمل اجابات الكاهنة خلال الهواء :

« أنت يا من انتهيت أخيرا من أهوال البحر العظيمة ، ان أمورا أكثر خطورة تنتظرك على البر ؛ سيصل الدردانيون الى مقاطعة لافينيوم ، اطرح هذا الهم جانبا عن قلبك ، ولكنهم لن يتهجوا لمجيئهم ، فانى أرى حروبا ،

حروبا مريعة ، ونهر التير يفيض بدم غزير ...

٩٣ - ان مثل هذا الشر المستطير ، الذى سيحيق بالتيوكريين

سيكون مرة أخرى بسبب زوجة أجنبية وعرس أجنبي

أما أنت فلا تخضع للشرور ، بل عليك أن تتقدم بجراً لمواجهتها

فى الطريق الذى يسمح به قضاؤك وقدرك • ان أول طريق للنجاة ،

وهذا آخر ما يخطر لك على بال ، سيفتح من مدينة يونانية • •

بينما أخذ قوم آخرون يحملون النعش الضخم على أكتافهم ، وياله من عمل محزن ، ويمسكون شعلة النار التي توضع الى أسفل ، ووجوههم الى الخلف طبقا لعادة الأسلاف • لقد احرفت فرايين مكدسة من البخور ولحوم الاضحيات والأواني المفعمة بزيت الزيتون .

وبعد أن خمد الرماد وانطفأ اللهب ، رشوا بالنبيذ الرفات المتبقى والرماد الظمآن ، ثم وضع كورينا يوس العظام المتجمة في اناء برونزي •

وهو نفسه دار حول خلانه ثلاث مرات ليظهرهم بالماء الطهور ، بأن أخذ يثر الندى الخفيف يغصن من شجرة زيتون مشرة : ظهر الرجال ثم قال كلمات الوداع الأخيرة •

أما أينياس الورع فقد أقام قبرا ضخما ، ووضع للرجل أسلحته الخاصة، الا وهي مجدافه وبوقه ،

تحت تل مرتفع يسمى الآن باسمه ميسينوس •

وهو يحتفظ بذلك الاسم الخالد عبر الدهور .

وبعد ذلك يواصل « اينياس » السير بحثا عن الغصن الذهبي ، حتى يتمكن من العثور عليه بسعونة زوج من الحمام أرسلته أمه « فينوس » لتدله عليه وما ان يعثر « أينياس » على الغصن الذهبي حتى ينزعه ثم تقدم القرايين لآلهة العالم الآخر

٢٥٥ لكن انظر، ها قد بدأت الأرض تخور تحت أقدامهم

وعندما يرجو « أينياس » الكاهنة أن تسمح له بالذهاب الى العالم الآخر ، يشاهد أباه مرة أخرى ، فانها تطلعه على الطريقة التي تمكنه من تحقيق مأربه ، كما تطلب منه البحث عن الغصن الذهبي ونزعه ، اذ بدونه لن تفتح أبواب العالم الآخر ؛ ثم تأمره بدفن جثة أحد زملائه • وبعد خروج « أينياس » من كهف العرافة ، يرى جثة « ميسينوس - Misenus » ضارب النفير الذي أغرقته الآلهة لتحديه اياها بموسيقى نفيره ، التي كان يلهب بها حماس الرجال فيهبون للقتال ثائرين ، فينفذ أمر الكاهنة في الحال ويقوم بطقوس الدفن •

٢١٢ - وفي أثناء ذلك لم يقل بكاء التيوكرين على الشاطئ

من أجل ميسينوس، وقاموا بتقديم الطقوس الأخيرة الواجبة للرفات الذي فقد الشعور ، فقد هيئوا له أولا مكانا ضخما للاحراق

وغنيا بقطع من خشب الأناناس وابلوط ، ونسجوا الجوانب بأوراق قاتمة ، وفي الأيام وضعوا أشجار السرور الجنائزية ، وزينوا الجزء العلوى بأسلحة وضاعة •

أسرع قوم باعداد الماء الساخن في قدور نحاسية تغلي فوق اللهب، وغسلوا جثان الميت البارد وضمخوه •

ثم علا الصراخ • عندئذ يعبدون وضع الجسد الذي يكون عليه فوق النعش، ويلتقون عليه الرداء القرمزي ، ذلك الغطاء المعروف •

عند شروق أشعة الشمس ، كما بدأت
أرجاء الغابة تهتز •

وخيل اليهم أن الكلاب تعوى خلال الظلام
عند مقدم الهة . « ابتعدوا ، ابتعدوا يا
من لم تطلعوا على الاسرار المقدسة »

صاحت الكاهنة ، « ابتعدوا عن كل الغابة ؛
وأنت يا أبنياس شق طريقك واستل
سيفك من غمده ،

فهذا وقت الشجاعة ، وهذا وقت القلب
المتين » ..

٢٧٣ أمام المدخل نفسه وفي بداية فتحات
أوركوس

استقرت الأحزان المنتقمة ،

وسكنت الأمراض الشاحبة والشيخوخة
المحزنة ،

والخوف والجوع الذي يدفع المرء الى
الشروع ، والعوز البغيض ،

والموت والكد ، وهي أشكال بشعة المنظر ،
ثم توأم الموت أعنى النعاس ، ورغبات النفس
الشريرة ؛

وفي الجهة المقابلة وجدت الحرب حاملة
الدمار ،

وغرف الايومينيديس الحديدية ، والنزاع
المجنون ،

وقد نسج شعره الشعبانى بجداول داميه .
وفي الوسط تنشر شجرة دردار ضخمة
وارفة الظلام

تنشر فروعها وأذرعتها العتيقة ، وهي التي
يزعم العامة أن الأحلام الزائفة تسعى للسكنى بها
وتلتصق بكل ورقة منها •
وبالإضافة الى ذلك ربضت أشكال متوحشه
لحيوانات مختلفة •

.....

٢٩٥ من هنا يبدأ الطريق الذي يؤدي
الى مياه أخيون الترتارى .

وهنا دوامة سريعة تغلب بالطمي وباضطراب
مائي واسع ،

وتصب كل الرمال فى نهر كوكيتوس .
ويرعى هذه المياه وتلك الأنهار ملامح مخوف ،

هو خارون ذو الهيئة الرثة المخيفة ، الذي
له لحية كثة بيضاء

تغطى عارضيه ، وعيناه تقدحان شيرا ،
وتتعلق ثيابه البرثة من كفيه بعقده •

وهذا الملامح نفسه يدفع قاربه من أسفل
بالمجداف ، ويدير حركته بالشراع ،

ويحمل الاجساد فى قاربه الأزرق الصدى ،
لقد أصبح الآن كهلا ، ولكنه بوصفه الها

له شيخوخة صلبة مزدهرة •

الى هذا الموضع تتدافع الى الشواطىء من
كل فج كل تلك الجموع :

أمهات واباء ، وأجساد أبطال عظام

قضت نجها فى الحياة ، وفتيان وفتيات
عذارى ،

وشباب حرق أجسادهم أمام أعين ذويهم ،

مثلهم كمثل العدد الجم من الأوراق المتساقطة
فى الغابات

فى أول برد الخريف، أو كمثل أسراب
الطير التى تتجمع

من أقصى البحار لتأتى الى اليابسة ، عندما
يدفعها فصل الشتاء

البارد عبر البحار ويبحث بها الى الأراضى
الدافئة •

لقد رفض « خارون » أول الأمر حمل
« أينياس » والكاهنة فى قاربه ، ولكنه ، عندما
رأى الفصن الذهبى الذى الذى لم يره منذ أمد
بعيد ، اقترب باقربه منهما ، واستقبلهما مرحبا .
وما ان عبر « أينياس » والكاهنة هذا النهر ،
حتى سمعا عومل وصراخ من ماتوا ولم يتجاوزوا
مرحلة الطفولة ، كما مروا بأشباح من وجهت
اليهم اتهامات كاذبة ، وبأشباح من قتلوا انفسهم .
وفى الوديان الحزينة

يلتقيان بمن ماتوا من قسوة الحب ؟

٥٠ • وكان من بين هؤلاء ديدو الفينيقية التى
لم يندمل جرحها بعد ،

وهى تتجول فى الغابة العظيمة • وما ان
يقف البطل الطروادى

قريبا منها ويتعرف على طيفها خلال الظلال ،
كممن يرى أو يحسب انه يرى القمر
يطلع

فى أول الشهر خلال السحاب ،

حتى انهمرت دموعه وخاطبها بحب
رقيق :

« أى ديدو البائسة ، أهو حق اذن ذلك
الخبر الذى

وصلنى بأنك مت ، وأنت لقيت حتفك بحد
السلاح ؟

وا أسفاه ! أكنت أنا السبب فى موتك ؟
أقسم بالنجوم ،

وبالسماوات العلا ، وبكل ايمان موثوق به
فى العالم السفلى ،

بأنى ما رحلت عن شاطئك ، أيتها الملكة ،
الا مكرها •

ولكن أوامر الآلهة التى اضطرتنى الآن أن
أسير

خلال هذه الظلال عبر الأماكن الوعرة
الموحشة فى الليل البهيم ،

وأن أسعى فى طلب مملكتى ، والا أثق
فيما أرغب ،

هى التى أجبرتنى على أن أسبب لك مثل
هذا الحزن العظيم برحلى عنك •

توقفى عن السير ، ولا تنأى بنفسك عن
ناظرى •

ممن تهربين ؟ فهذه الكلمات التى أتوجه
بها اليك هى آخر كلمتى لك ، هكذا أشاء
الأقدار » .

بمثل هذه الكلمات حاول « أينياس » أن
يهدىء من روع طيف « ديدو » ، ويستدر
عطفها ؛ أما هى فلم تتأثر ملامحها من حديثه بأكثر
مما يتأثر الحجر الأصم ، وفرت من أمامه كأنه

عدو لها واتجهت الى زوجها السابق «سيخايوس» ،
ليسرى عن أحزانها ويبادلها حبا بحب •

يتابع «أينياس» سيره مع الكاهنة حتى
يمرا بالأراضي المنعزلة «Arva Ultima» التي يكتظ
بها من علت شهرتهم في الحرب • ومن هناك يرى
«أينياس» أسوارا عالية يحوطها نهر «فليجيثون
— Phlegethon» المتأجج ، وهذه الأسوار ، كما
أخبرته الكاهنة هي أسوار «تارتاروس» سجن
من حكمت عليهم الآلهة بالعذاب الأبدى •

وأخيرا يصلون الى مقر الصالحين «Elysium»
، حيث يلتقى بروح أبيه «أخيسيس» ،
الذي يكشف له عن سير الأمور في العالم ، وعن
وسائل التطهير التي تمكن البشر من السماح لهم
بدخول مقر الصالحين ، كما يخبره أبوه بأنه من
هذه الأرض البهيجة «Laeta Arva» سيعود
الى العالم الديوى بعد ألف سنة بعض الرجال
الذين قدر لهم أن يكونوا هم الرومان العظماء ،
ومن بين هؤلاء الرجال أحفاد «أينياس» نفسه ،
ويصف له مغامراتهم في عرض لتاريخ روما
متضمننا الامبراطور «أوغسطس» وابن أخته
ووريثه «ماركيللوس» الذي اختطفه الموت وهو
في ريعضان الشباب عام ٢٣ ق م فكتب عنه
فيرجيل بتلك المقطوعة الشهيرة (٨٦٠ - ٨٨٦)
التي يقال ان أمه الثكلي «أوكافيا» قد أغمى عليها
عندما قرأها «فيرجيل» في حضرتها ، وقد جاء
في نهايتها (٨٨٢ - ٨٨٦) : وا أسفاه أيها الغلام
البأس ، لو تستطيع تحطيم القدر القاسى ،

فسوف تكون ماركيللوس ! هيا املاؤا يدي
بالزئبق ،

دعوني أثمر أزهار البنفسج ، وأكس على
الألف

أكواما من هذه القرايين على روح حفيدي ،
ولأقم

بهذا الواجب البسيط •

وفي الكتاب السابع يعود «أينياس» الى
رفاقه ويتابعون رحلتهم الى مصعب نهر التير ،
فينزلون بأقليم «لاتيوم» الذي كان يحكمه
«لاتينوس» - Latinus • وكان لهذا الحاكم
ابنة تسمى «لافينيا» - Lavinia وكانت مخطوبة
لتورنوس - Turnus ملك الروتولين Rutuli
الذين يسكنون إحدى المقاطعات في نفس
الأقليم . ولكن كانت هناك نبوءة تعلن أن
القتاة لابد وأن تزوج من أمير أجنبي • عندئذ
يبعث «أينياس» بسفارة الى «لاتينوس» فيستقبلها
بالترحاب ، اذا أيقن أن «أينياس» هو زوج
ابنته المرتقب ، وتنشأ بين الطرفين علاقات ودية •
ولكن الآلهة «جونو» كانت للطرواديين بالمرصاد ،
فتتير «تورتوس» الذي يقوم بتسليح أهل لاتيوم
الذين اتحدوا مع الروتولين لمحاربة الغزاة
الدخلاء ، تعاونه في ذلك «أماتا» - Amata
زوجة «لاتينوس» وأم «لافينيا» ، الأمر الذي
يضطّر معه «لاتينوس» ان يعلن سخطه عليهم
جميعا ويغلق القصر على نفسه •

أما الكتاب الثامن فنرى فيه أن «اللتير»
الأب قد زار «أينياس» في المنام وأمره بالسعى
في طلب معونة «افاندر» - Evander حاكم
مدينة باللاتيوم - Pallanteum • وفي الصباح
أسرع أينياس الى «افاندر» الذي صحبه في

رحلة حول الأرض المقدسة ، حيث قامت « روما » فيما بعد ، كما أراه الغاية الكابيتولينية الكثيفة التي جعل منها « رومولوس » فيما بعدمحرا بالآلهة . وقد اقترح « افاندر » على « اينياس » أن يطلب معونة الاترسكيين الذين ثاروا ضد حاكمهم الطاغية « ميزينتيوس » واضطروه الى الخروج من بلادهم . فلجأ الى « تورنوس » ، فقبل « اينياس » الاقتراح ، وخرج الى معسكر الاترسكيين ، يصحبه « بالاس - Pallas » ابن « افاندر » . وفي تلك الأثناء استطاعت فينوس أن تقنع زوجها « فولكانوس » أن يصنع لأينياس عدة حربية تتضمن درعا محفورا عليه عرضا لبعض المشاهد المستقبلية من تاريخ « روما » حتى معركة « أكتيوم »

وفي الكتاب التاسع تتمكن « جونو » من اقناع « ايريس Iris » الهة النزاع أن تذهب لتثير « تورنوس » حتى يعمل على انتهاز فرصة غياب « اينياس » ، ويقوم بالهجوم على معسكر الطرواديين ويشعل النار في معسكرهم . ولكن « نيتونوس » يحول السفن الى حوريات من عرائس البحر . وبناء على تعليمات « اينياس » التي كان قد تركها لأتباعه قبل رحيله ، يظل الطرواديون خلف الأسوار . وفي اليوم التالي بدأ « تورنوس » الهجوم على الطرواديين من جديد ، وتمكن من اقتحام استحكاماتهم ، ولكنهم قطعوا عليه الطريق ، حتى أنه تمكن من التقهقر بكل صعوبة .

وفي الكتاب العاشر نرى مجلس الآلهة منعقدا وقد ثار به جدل حاد بين « جونو » و « فينوس » حول مصير الحرب ، ولكن

« جوبيتر » قرر ترك الأمر للأقدار . وعلى كل فان « اينياس » تمكن من عقد محالفة مع « تارخون - Tarchon » قائد الاترسكيين ، الذين اعتلوا ظهر أسطولهم ، حتى وصلوا قريبا من معسكر الطرواديين ، رغم مجابهة « تورنوس » لهم . ونشبت بين الفريقين معركة حامية ، أبلى فيها « بالاس » ابن « افاندر » بلاء حسنا ، ولكنه قتل في النهاية بيد « تورنوس » . فيثور « اينياس » ويشار لمقتله بالقضاء على عدد غير قليل من أبطال الأعداء ، ولكن « جونو » تتمكن من انقاذ « تورنوس » بإبعاده عن الميدان ، فينازل « اينياس » « ميزينتيوس » ويقتله .

يبدأ الكتاب الحادى عشر بعقد هدنة يتم فيها دفن جثث القتلى واقامة الطقوس الجنائزية لهم . ثم يعقد اللاتين مجلسا لمناقشة الموقف الحربى ، حيث يقترح أحدهم وضع حد لهذه الحرب بأن ينازل « تورنوس » « اينياس » فى مبارزة فردية ، ولكن هذا الاقتراح لم يلق التأييد الكامل أمام نصيحة « تورنوس » بضرورة محاولة القيام بمعركة أخرى . وعلى كل فان هذا المجلس ينقض على عجل ، اذ وصلتته أنباء بأن الطرواديين يهاجمون المدينة ، فيهرع الجميع الى القتال وعلى رأسهم « تورنوس » . وبعد معركة طويلة يتراجع اللاتين الى مدينتهم فى فوضى واضطراب .

وفي الكتاب الأخير تعقد هدنة أخرى بين الطرفين ، يتم خلالها انتهاء الحرب بمنازلة « اينياس » لتورنوس . ولكن احدى العرائس ، وهى « جوتورنا - Juturna » أخت تورنوس حرضت الروتوليين على خرق الهدنة بالقاء سهم على

«اينياس» فأصابه بجرح عميق. ولكن «فينوس» جعلت الجرح يندمل في الحال ، بينما شنت «أمانا» نفسها لاعتقادها أن تورنوس « قد لقي مصرعه » . وبعد أن صالح « جوبيتر » « جونو » بقراره الذى يتضمن اتحاد الطرواديين مع اللاتين فى أمة واحدة ، اشتبك البطلان « اينياس » « وتونوس » فى القتال . وسقط « تورنوس » ، واذ هو فى النزاع الأخير ، يطلب فى رجاء واستعطاف أن يرد جثمانه الى أبيه العجوز .

وكان « اينياس » على وشك أن يرق قلبه لهذا الموقف ، لولا أن رأى حزام « باللاس » حول وسط «تورنوس» ، عندئذ يصرخ صرخة مدوية ويهوى بسيفه فيقضى عليه بضربة قاتلة . بهذا تنتهى ملحمة « فيرجيل » الخالدة

« الانيادة » ، التى ظلت تعتبر لقرون عديدة ، وعلى الأخص فى القرون الوسطى ، أعظم عمل أنتجته عبقرية انسان ، ولم تخط أى أشعار أخرى ، على الأقل فى العالم الغربى ، بمثل ما حظيت به هذه الملحمة من شهرة واسعة واهتمام بالغ من رجال اللغة والأدب . حقيقة ان الانيادة ، باعتبارها ملحمة تصور الحروب والمغامرات ، لا يمكن أن ترقى الى مستوى الانيادة والأوديسا فى قوتها وحيويتها. والواقع أن الانيادة والأشعار الهومرية ، رغم ما بينهما من تشابه كبير من ناحية الشكل يغرى دائما بعقد المقارنات بينها ، تختلف عن بعضها اختلافا كبيرا فى الروح والطبع ، حتى أنه لا ينبغى ، كما اقترح أحد النقاد ^(١) ، عقد المقارنات بينها ، فالأشعار الهومرية ثمرة تناج عبقرية فطرية نظمها الشاعر ليتغنى بها أثناء الأعياد

والاحتفالات التى كانت تقام فى العصور الأولى تمجيدا للأبطال العظام ، وهى تصف أناسا يعيشون تقريبا بنفس الطريقة التى كان يعيش بها من كتبت الأشعار فى عصرهم ؛ أما « الانيادة » فهى خلق فنى ، كتبها شاعر ينتظر الرعاية من الامبراطور ، ويتوقع النقد من « مايكيناس » وجماعته الأدبية ، وهى تحاول أن تضى الروح على أشباح الماضى البعيد بحيث تبدو مقبولة لدى أناس يختلفون عنهم تمام الاختلاف فى كل شيء . ومن ثم فإن أهم ما يهم « هومر » ومستمعيه هو القصة والأحداث ، ويأتى الشكل الفنى فى المرتبة الثانية ، أما بالنسبة لفيرجيل وقرائه فإن الصورة الفنية والأدبية فى المقام الأول ، وتأتى بعدها حقيقة أحداث القصة .

وفى هذه الناحية الفنية لا يشك أحد فى أن « فيرجيل » هو سيد الايقاعات العذبة والتعبيرات الأدبية . فان الوزن السداسى ، الذى كان عند «انيوس» خشنا غير مصقول ، وعند «لوكريتيوس» ، رغم قوته واحكامه ، تنقصه الرشاقة والتنوع ، قد أصبح عند « فيرجيل » محكما صقيلا متنوعا قادرا على التعبير عن كل العواطف المختلفة . وليس معنى ذلك أن الرشاقة الفنية الظاهرية هى كل شيء عند « فيرجيل » . فالمشاعر عنده عميقة فياضه رغم أنه يحاول السيطرة عليها وكبح جماحها . وان حبه لبلاده واعتزازه بعظمتها وإيمانه بأن رسالتها فى حكم العالم قدر مقدور لنشر المدنية والسلام يتخلل كل الملحمة تقريبا ويبرز بين عديد من الأبيات الرائعة .

فشعبها واسع السلطان مزهو بحروبه ^(٢)

(١) انظر :

T.E. Page Virgil, Aen. VI, Intr. pp. XVIII-XIX.

(٢) الانيادة ، ١ ، ٢١ .

ويقول على لسان « جوتير »

انى لا أضع حدودا لممتلكاتهم أو حدا زمنيا
لسلطانهم

فقد منحهم ملكا لا نهاية له (١).

و نحن أنفسنا سنرفع الى النجوم أحفادك
فى المستقبل

وسنمنح مدينتهم سلطانا (٢).

تذكر ، أيها الرومانى ، أنك تحكم الشعوب
بنفوذك

ستكون لك هذه الفنون

التي تسن بها قانون السلام

وتعفو عن المنهزمين ، وتحارب المتعجرفين (٣)

ولكن رقة « فيرجيل » وحزنه الممزوج
بالتفكير العميق هما سر خلوده • فهو يفكر
طويلا ، ويتألم من تقلبات القدر وقصر الحياة
البشرية ، ولكن حزنه لم ينزل أبدا الى مستوى
اليأس ، فالدرس ، الذى استفاده من أن الموت
حق وأن الحياة قصيرة ، هو الدافع الى الايمان
بضرورة العمل والكفاح •

لكل انسان يوم معلوم ، وان وقت الحياة

قصير لا يعوض بالنسبة للجميع ، ولكن
بالأعمال المجيدة

تمتد الشهرة، وهذا هو عمل البسالة (٤).

ان « فيرجيل » متدين بدرجة عميقة ومؤمن
ايمانا جازما بوجود قوة مهيمنة تكافىء
الأخيار (٥) وتعاقب الأشرار (٦) ، ولكنه حائر
أمام لغز ذلك القدر المحتوم (٧).

وعلى كل حال فان أعمال « فيرجيل » كانت
تقرأ فى عصره على نطاق واسع ، حتى لقد أدخلت
ضمن المقررات المدرسية فى مدارس الأدب
والخطابة (٨) ، مما كان له أكبر الأثر لا على
الأدب فحسب بل على اللغة اللاتينية كلها ، كما
أن أعماله أصبحت موضوعا للتعليق والتحليل
لكثير من النقاد والمعلقين والمهتمين باللغة .
وكان « دانتى » يعتبره أستاذه ومرشده فى الجزء
الخاص بالجهنم (٩) ، وبلغ من تقديس الناس
لفيرجيل أن اعتبروا أعماله كالأزلام Sortes
Vergilianae يستهدون بها قبل القيام بأى
عمل هام ، كما يفعل العامة الآن بالكتب المقدسة ،
كما أن المسيحيين الأول كانوا يرون فى الرعوية
الرابعة ما يشير بظهور المسيحية (١٠) .

(٤) الانبياء ، ١٠ ، ٤٦٧ - ٤٦٩ .

(٥) الانبياء ، ١ ، ٦٠٣ وما بعده .

(٦) الانبياء ، ٢ ، ٥٣٥ وما بعده .

(٧) الانبياء ، ٨ ، ٣٣٤ وما بعده .

(٨) قارن سويتونيوس ، عن النحاة ، ١٦ ، جوفينال ٧ ،

٢٧٧ دانتى .

(٩) أنظر دانتى ، الجحيم ، ١ ، ٨٥ - ٨٧ .

(١٠) قارن :

Duff, op. cit., pp. 351-352; T.E. Page, Virgil,
BUC., Intr. pp. XV-XVI.

(١) الانبياء ، ١ ، ٢٧٨ - ٢٧٩ .

(٢) الانبياء ، ٣ ، ١٥٨ - ١٥٩ .

(٣) الانبياء ، ٦ ، ٨٥١ - ٨٥٣ .